هاشم الطعان

مراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5571) السنة الحادية والعشرون

- الخميس (14) كانون الأول 2023

هاشم الطعان الباحث والشاعر العراقي المبدع

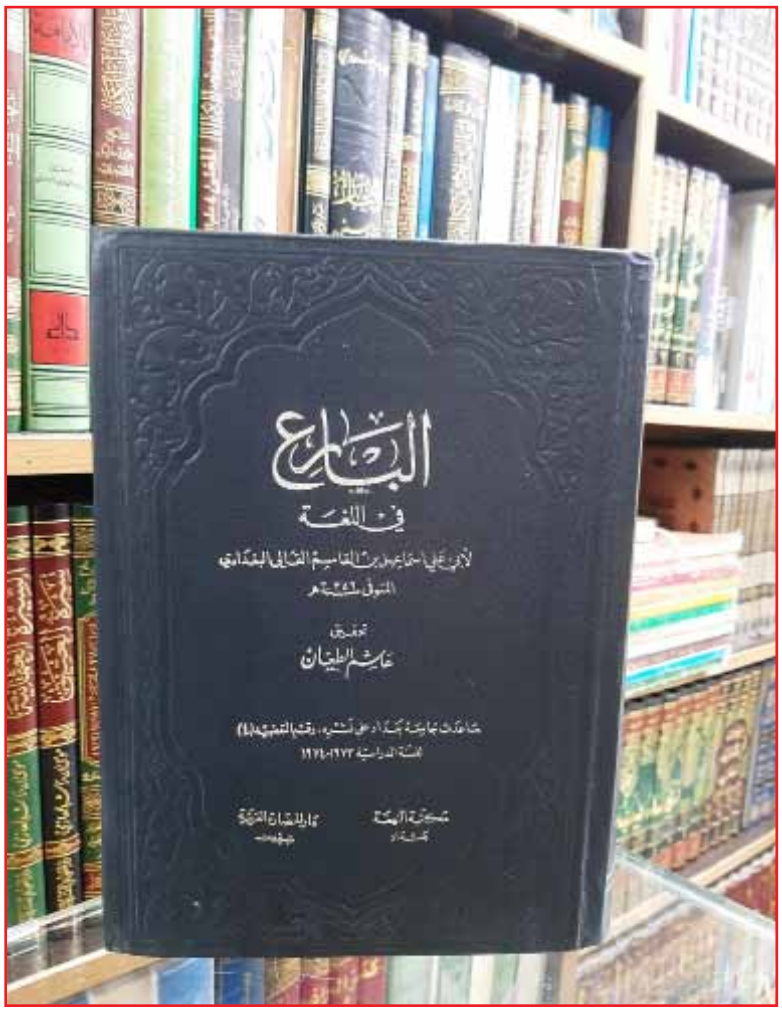

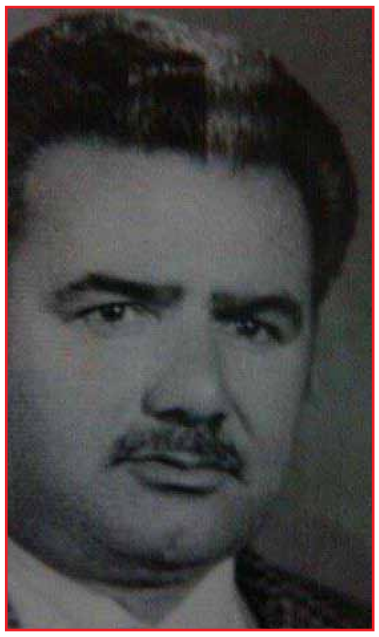

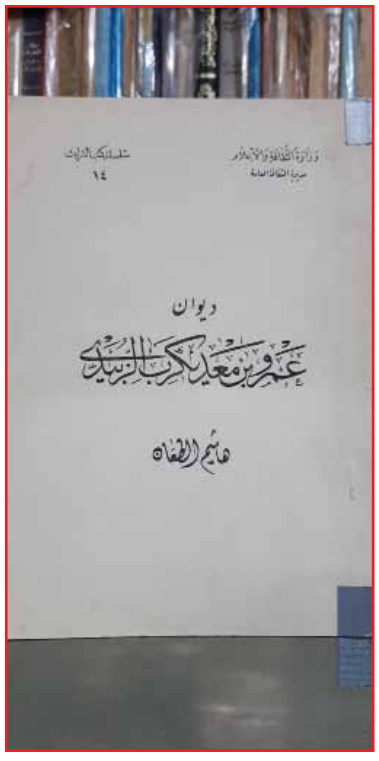

هاشم سعدون حسن الطعَّان شاعر وباحث عراقي ولد في مدينة الموصل سنة ١٩٣١م، وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ومارس التعليم فترة، بعد تخرجه من دار إعداد المعلمين. ألتحق بكلية الآداب عام ١٩٥٦ م وتخرج فيها بتفوق عام ١٩٦٠ م ورعاه أساتذته:-عبد العزيز الدوري ومهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، عين مدرسا في البصرة، ثم التحق بدراسة الماجستير في جامعة بغداد ونال شهادة الماجستير عن تحقيقه لكتاب "البارع في اللغة" وهو الكتاب الذي شرح فيه أبو علي القالي البغدادي معجم "العين" للفراهيدي، ونال شهادة الدكتوراه عن أطروحته "الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة" من جامعة بغداد أيضاً،

وكان لـه نشـاط أدبـي في مدينتـه الموصـل في الخمسـينات و السـتينات من نشـر في الصـحف ومشـاركة في التجمعات الأدبية، وإصدار الكتب الشعرية.

وفي الخمسـينات شـهدت الحركـة الشـعريةُ في الموصـل انتعاشَ تيار شعري مجدِّد تصدَّرَ المشهد الإبداعـي آنـذاك، عَـبْرَ جماعة أدبية تشـكلت من أدباء أطلقوا على أنفسهم روَّاد أدب الحياة، ولكي يشـقَّ هـذا التيار طريقـه بين المتراكم من الشـعر التقليدي، ويحفِّز الصـحف علـى أن تفتح أبوابَها لأصحابه دون تردد، أصـدر أربعةٌ من الشـعراء الشـباب أواسـط الخمسـينات مجموعة شـعرية مشـتركة أطلقوا عليها اسم (قصـائد غير صالحة للنشـر) يتصـدَّرُها إهـداءٌ نَصُّـه:(إلى الصـحف التي لم تنشـر لنا هذا...) و الشـعراء هم: (شـاذل طاقة، عبد الحليم اللاوند، هاشـم الطعان، يوسف الصائغ). ثمَّ..(صُـودِرَ هذا الديوان فور توزيعه في المكتبات من قبل أجهزة السلطة).

فيمـا كان لـه في ميـدان الفكر و السياسـة نشـاط بـارز، فهو رجـل تقدمي يساري عُـرف بحضوره في الشـأن السياسي العراقي. و الذي حرم بسببه من التدريس في الجامعات العراقية رغم حصوله على شهادة الدكتـوراه وبقي في التعليم الثانوي حتى احيل إلى التقاعد.

تعرض الطعان للملاحقة و السجن بسبب انتماؤه السياسي المعارض، وعـن دوره الادبي وتشاطه في سجـن نقـرة السلمان يذكـر الكاتـب " جاسم المطير " :

جعلنـي السجين هاشم الطعان موقنا بكلامه حين قـال ذات يـوم: (في نقرة السلمـان يجد المواطن العراقـي السجـين وسائـل التعلـم و التحصيـل العلمـي متاحـة امـام الجميـع ومتساويـة لـدى الجميع). كان هذا القول تجسيدا لمجانية التعليم في النقرة و اشتراكيته.

ويضيـف المطير (في سجن النقرة أعـاد التاريخ نفسـه أمامي فقـد كان هاشم الطعـان يشكل نقديا نفـس شخصية محمد علـي إسماعيـل. لا يعرف آراء وسطيـة، بـل يحـب انسيـاب الفكـرة لـدى الكاتـب، مؤكدا، دائما، علـى ضرورة التفاصيل الدقيقـة في مـا عرضتـه عليه خلال فـترة كتابتي روايـة " مذكـرات سجـان " التـي كنـت اعرض عليـه كل حلقـة مما اكتب حـال أكمالهـا فيزودني بمعلومـات وملاحظات مفيـدة. كذلك كان يتحمل مهمـة الاطـلاع علـى مـا يكتبـه سجنـاء آخرون. فكثـيرا مـا يقـوم بعض الكتـاب أو الشعـراء السجنـاء بعرض نتاجاتهم على هاشـم الطعان. يقرأهـا جيدا وبعناية فائقة ثم ينطلق بملاحظاته النقديـة ليقـوّم ما هـو خاطـيء فيهـا ولا يتورع في النقـد الحـاد مؤكـدا دائما ضـرورة ووجوب اتحـاد حقيقي لـدى الكاتب او الشاعـر بين قوة " المضمون " وقوة المعرفة الفنية " الشكل ". بعض الشعـراء و الكتـاب في النقـرة يعتـبرون الطعان اتاتـورك الادب وهـو لا يرحـم أديبـا لا يرتبـط ارتباطـا عضويـا بأصـول الادب. الشـيء المهـم الذي لا بد قوله، هنا، هو أنني استفدت كثيرا من هاشم الطعان ومن نزاعه الادبي معنا جميعا، فقد زودنا باخلاقية قبول النقد من الاخر)

في سنـة ١٩٦٠ أصـدر هاشـم الطعـان مجموعة شعرية ثانية، هجـر بعدها كتابة الشعر، منصرفا إلى الدراسـات الأكاديمية اللغويـة و الأدبية لنَيل الشهـادات العليـا التي نالها في عقـد السبعينات، ومـا أن رحل ذلـك العقد حتـى رحل الشاعـرُ معهُ مودعا الحياة سنة ١٩٨١م

من آثاره في مجال التأليف و التحقيق:

"تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة" – مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٨ م.

"ديوان الحـارث ابن حلزة اليشكري" (تحقيق) مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٩ م.

ديـوان "عمـرو بن معد يكـرب الزبيـدي" مطبعة الجمهورية – بغداد ١٩٧٠ م.

"البـارع في اللغـة لإسماعيل بـن القاسم القالي البغدادي" (تحقيق) – بغداد ١٩٧٢ م.

"الأدب الجاهلـي بـين لهجـات القبائـل و اللغـة الموحـدة" وزارة الثقافـة و الفنون – بغداد ١٩٧٨ م.

كما أصدر ثلاث دواوين مطبوعة:

"لحظـات قلقـة" – المطبعة العصريـة – الموصل ١٩٥٤ م.

"قصائـد غـير صالحـة للنشر" (بالاشـتراك مع شـاذل طاقـة ويوسـف الصائـغ وعبـد الحميـد اللاوند.) – الموصل ١٩٥٦ م.

"غدًا نحصد": مطبعة العامل – بغداد ١٩٦٠ م.

(الفاشست):

يتربصون وأنت تعلمُ أنهمْ لن يهدأوا
حتى...
وتزعم أنهم لن يجرؤوا
لكنَّ أحداقَ المسا..إذْ تُطفأُ
تُضفي على أحداقِهِمْ رَمداً
فتلتهبُ الجفونْ

– من شعر هاشم الطعان:

خاتمة المطاف

غفا النهارُ عـن المحزونِ فانطلقـا وراح يذرعُ في بأسائه الطُرُقـا
أذلك الجسَدُ المهدومُ مرتبكـاً قد كان بالأمس تيَّاهَ الخُطا نَزِقا؟
يسعـى إلى حلْـمِـه الأسنى بأجنحـةٍ يكاد يدرك في رفَّاتها الأُفُقـا
ويـنثنـي بـالصبا النشوان مزدهـياً كمُوثَقٍ فكّك الأغلالَ وانعَتقـا
أصـخْ لرَجْـع أغانيـه مُعطَّـرةً وانظرْ لنبعِ أمانيه قد انبثقـا
يكاد مَصبـاحُه يفري دُجنّتَـهُ فكلما احلوْلَكتْ أطرافُها ائتلقـا
يسـيرُ أصحابُـه فـي هدْيِـه زُمَـراً تنصـاعُ أقدارُهم مخذولةً فرقـا

××

×على قبرها

أأدفن هذه الطفلَهْ؟ لقد حاقتْ بيَ الغفَلَهْ
أواري بالثرى حلمًا؟ وأطفئ تلكم الشعلَهْ؟
ألا ردّوا عليَّ الحلمَ واستبقوا ولو ظلّه
فلن أرجعَ مخذولاً أجرِّرُ خطوتَيْ أبْلَهْ
وقد خلّفتُ في صمت شبابي في الثرى كُلَّهْ
دعوها هاهنا قربي أُناغي الثغر في ذلّهْ
دعوها أو دعوا بعضًا دعوا مِن شعرها خُصلَهْ

هاشم الطعان ومظفر النواب

جاسم المطير
كاتب راحل

هاشم الطعان مثقف من نوع خاص بكل ما يتعلق بالشعر و الأدب العربيين. المعروف عنه، أن احداً من الشعراء، القدامى و الجدد، لا ينال منه مديحاً نقدياً، إلّا ما نـدر. غير انه فسح المجال لمظفر ان يحتـل مكانته الشعريـة في قلبه الشعـري و عقله النقـدي. في أثنـاء وجـوده بالنقـرة كان يغوص في أعمـاق قصائد كل شاعر، مـن شعراء الندوات الأسبوعيـة في كل خميس مـن خميسات السجن، قبـل ان يقـول عنه رأياً. لم يكن يؤمـن بمستقبل الشعر الشعبي، اعتماداً على المفردة الشعبية. كان لا يهوى الشعر الشعبـي لأن هذا النوع من الشعر سـوف يتوقف، يومـاً ما، عن تبعاتـه التاريخية، بعـد أن ينتهي دوره في الثقافة الشعبية و (ينتهي البنزين المحرّك له..!).

هكذا كان يظن و يقول في اغلب الأحيان.

يؤكـد بأحاديثـه الجـادة و غيرهـا، ان الشعـر الشعبـي سيفقد وجوده، مستقبـلاً، إلّا في بعض استخدامـات الحـوار في الأغـاني الشعبيـة و المسـرح الشعبـي، إذ سيظل الكتـّاب المسرحيون يستخدمـون بعض طاقاتـه الاشعاعيـة في مسرحياتهـم، التي يتنبأ الطعـان، أنها ستقتصر علـى اللغـة الفصيحـة. كان الطعـان غزيـراً في النظريات النقدية.. تراه ينظّم، بين آونة و أخرى، غـارات نقديـة مبيـدة، على الكثـير مـنَ الشعراء الشعبيـين و الفصحـى، نافياً اغلـب دعاواهم عن اشعارهم، غير المتكاملة أصولها او فصولها. لذلك لم يسلم من نقده أي شاعر، حديث او قديم، عراقي او عربي، سجين بالنقرة او غير سجين. كان على استعداد دائم لإثارة أي نزاع نقدي، بشأن الشعر. لم يسلم من نقده لا امرؤ القيس و لا المعري، حتى الشاعـر المتنبي بمحاضرة ألقاها أمام متابعيه في النقرة.

عـن قصيدة الريـل لمظفر النواب، أكـد مجيباً على سـؤال بعض الأدبـاء السجنـاء: انهـا محاولـة نظرية تحتمل التجريب.

منـح القصيـدة المظفريـة الشعبيـة حـق الرؤيـا لشاعرهـا و لـكل محبيهـا ومراقبـة تأثيرهـا في التقصـي و الإبداع. قال عنهـا انها قصيدة اشرقتْ و اغربـتْ في اجواءٍ شعرية، معقدة و ملبدة، لكنّ انجمها ظلّـت لامعةً. لأن شاعرهـا استطاع اللعب الذكـي، بمفرداتها و جعل لغتهـا الشعبية متقربة الى الفصحى، معتمدةً على الأصول اللغوية.

أتذكـر مديحـه لشاعرهـا النـواب بالقـول: جـاء بفضائلَ شعريةٍ آمن بها و تمسك بشجاعةٍ شعريةٍ نادرة.

ختـمَ كلامـه عـن الريـل و حمـد حيـث كان مظفر غائبـا عـن هـذا الحديـث، قائـلاً: بلغـوا النواب انـني المواطن المصلاوي هاشم الطعان نلتُ شرفَ القبـولِ و الرضا ببقاء القصيدة في قلبي منذ يوم صدورهـا، حتـى الآن. مـا زالت نعمتهـا موثوقة بخيالي الشعري، المادي و المثالي.

لم اسمع من مظفر النـواب صوتاً عصبياً او ناذراً أحـدا من مناوئيه او اعدائه او حسّاده.. او هاتفاً بوجـه الذين يختلفـون معه. لم اسمـع منه صوتاً ناريـاً مهمـا كان خطـأ الآخـر بحقـه.. كان يحترم الجميـع من الناس، البسطـاء و المعقدين. نفس الاحترام لجميع الشعراء، قدامى أو جدد. وجدته محباً الى الآخر، مثل حُبّه لوالديه و لأخوته.. هذا الشـيء بنظره مـن مرتجيات التقـدم و التقدمية. كان حبـه للناس و الشعب هادئاً، معلناً في السماء و تحـت زمـان المطـر أو الجفـاف. مـن هنـا خلق (قصيـدة البراءة) في النقرة حـين وجد ان بعض السجنـاء مـن المصممـين على التـبرؤ من الحزب الشيوعي ينبغـي توعيتهم.. وجد ان ما عليه فعله هـو رفع صوته الشعري لإنقاذ هؤلاء البسطاء من أصحاب نوايا التوقيع على عار وثيقة (البراءة).

نجحـت القصيدة في اغراضهـا التوعوية و نجح شاعرهـا غـير أن الكثـير مـن الادبـاء السجنـاء، وجدوا فيها مغامرة شعرية مظفرية، كبرى. إذ لم تتوصل الى فعل (التكامل)، كما يفترض أن تكون ناضجـة، شعرياً، بمستوى نضوج قصيدة (للريل و حمـد). كان مستعجـلاً في استيعـاب المحدثـات السجنيـة الخطـيرة، حتـى تنضـج المواقـف الصحيحة مـن الازمة الخطيرة و تخفق الحكومة في مـا تبغيه. ظل يلاحق الريح و لا يستريح حين اسـرع بكتابـة قصيدة (الـبراءة) متمنياً ان يعود الى زمـان الولادة ليغرس مغروساً جديداً، حاملاً حجـارة الشاعـر العباسـي حسـين بـن منصـور الحـلاّج (٨٥٨م- ٩٢٢م) في اعماقـه، حافظـاً عهوده مع أصحاب يسميهم بـ(الخلاّن).

عن صفحته على موقع الفيسبوك

اين اختفت مكتبة هاشم الطعان؟

رشيد الخيون

انـت المكتبة أول هدف للشرطـة السرية بالعراق، فمـا أن يُعتقـل الباحـث أو الكاتـب، إلا وبعـثرت مكتبتـه بحثـاً عـن كتـاب ممنـوع. وكان الأهالي يخفون كتـب أحبائهم من المعتقلـين بطرق شتى، كدفنهـا تحت الأرض، أو نقلهـا إلى جار مؤتمن. وآخـرون كانـوا يقطعون رأس البليـة، الكتاب، بحرقـه أو إتلافـه بطريقة ما. وما أكـثر كنوز، لا صلة لهـا بالسياسـة، أتلفتها أمهـات لا يقرأن ولا يكتبن، ويتخيلن كل كتاب مصيبة.

وكل مثقـف، عانـد السلطـة، أو تجـرأ علـى عـدم مسايرتها، قصة مع مكتبتـه داخل العراق، ناهيك عن حياة الترحال التي عاشها المنفيون منهم، وما يتعلـق بتأسيس المكتبات، ثـم لا يحمل منها أكثر مـن عشرين كليوغراماً، وهو الـوزن المسموح به في الطيـارات، حـين يغـادر إلى منـاف وملاجـئ أخرى، وما أكثرها. مَنْ بحث في كتاب العراق بين

احتلالين لعباس العزاوي (ت ١٩٧١)، سيقدر عدد المصادر التي استخدمها هذا المؤرخ، وسيتعاطف مع أحزانـه، وهو على فراش المـوت، على مصير مكتبته العامرة، وقلـق ابنته على ذخيرة والدها. وكذلـك الحـال بالنسبـة لـلأب مـاري انستاس الكرملـي (ت ١٩٤٧). كان مصير مكتبة العزاوي، حسـب ما نقله لي الأديب مير بصري (ت ٢٠٠٦)، أنـه شاهد عمالا يرمون بالكتـب من الشبابيك إلى بطـن سيـارة مكشوفة، وكأنهم يرمـون بطابوق. أمـا مكتبـة الأب الكرملي، فقد حشـرت في مكتبة الموصـل، وتفرقت شـذر مذر، مـن دون أن يحفظ اسمـه عليهـا، ومعلـوم مـا كان فيهـا مـن نفائس الأثـر. وللعلـم أن نشأة المكتبـة الوطنية العراقية كانـت فضـلاً مـن أفضـال هـذا العـالم، إذ تبنـى نشأتهـا العـام ١٩٢٢، وبـدأت تحت اسـم مكتبة السـلام، ثم نقلـت محتوياتها لتأخذ اسـم المكتبة العامـة، ثـم المكتبـة الوطنيـة (١٩٦١)، وألحقت بـوزارة الثقافـة والإرشـاد (قزانجـي، المكتبـات في العراق). أتذكـر عندمـا صحبنـي الأديب سالم الدباغ (توفي منتصـف الثمانينيات)، وكنت أحد تلاميـذه، إلى بيت الأديب واللغوي هاشم الطعان (ت ١٩٨٠) هالنـي عدم رؤيـة جدار في الدار، فقد غُلفـت بالمجلدات، وتكوم بعضهـا على الروازين، وتحـت السلالم. وما زاد دهشتـي، أنه كان ينوي شـراء مكتبة أحـد المتوفين من العلمـاء!. وسألت هيثـم نجل الطعان عن مصير مكتبـة والده، فقال بحسـرة كبيرة إنه بعد وفـاة والده، واعتقاله، ثم إطـلاق سراحـه، مـن دون إكمـال مـدة الحكم ٢٥ عامـاً، جـاءه الأديب ماجـد العـزي، وكان بعثياً، وعلـى صلـة جيـدة بوالـده، واقترح عليـه بيعها إلى جامعـة بغـداد. لكن الجامعـة رفضت شرطه، وهو أن تخـزن تحت اسم صاحبها. ثـم أعاد عليه الكـرة واقـترح بيعهـا إلى جامعـة الكوفـة، التي قبلت بالشرط. وسريعـاً حُملت الكتب باللوريات تحـت نظـرات أفـراد الأسـرة الحزينـة، ففي كل كتـاب لفقيدهـم لمسة من يـده وخفقة مـن روحه، وقـد جمعها، رغـم العـوز، كتاباً كتاباً. ولما ذهب هيثم إلى جامعـة الكوفة لاستحصال ثمن المكتبة، وهـو لايزيد على ما يُقابـل أربعمائة دولار، كانت المفاجـأة أن الكتـب فرهـدت قبـل دخولهـا إلى الجامعـة، وقسمـت بـين الأساتـذة والمسؤولين، ولم يبـق منهـا غـير كتيبـات، وليـس هنـاك اسم لصاحبها ولا يحزنون. والأنكى من هذا لم يتمكن من استحصال المبلـغ، وقد أنسل ماجد العزي من العملية برمتها.

من مقال نشر في المدى عام ٢٠١٠ بعنوان "مصائر الكتب.. أين اختفت مكتباتهم؟"

من آثار الدكتور هاشم الطعان

الأدب العربي ضد الإمبريالية

لقد وقف الاديب العربي بجانب شعبه ابان معاركه كلها منذ الحملات الصليبية والاكتساح المغولي وتوالي السيطرة الاجنبية حتى العصر الحديث. ولئن كثر ما خلا الادباء آنذاك الى همومهم الخاصة لهم حين يجد الجد منشدون في الملاحم. وتحت كابوس دولة بني عثمان. وبعد دعوات الاصلاح التي لم تجد أذنا صاغية .وقف فريق من الادباء ينشدون مجد أمتهم الضائع، وكان هذا ضروريا في بعث اليقظة، حتى إذا دوى صوت ابراهيم اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦).

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمي السيل
حتى غاصت الركب

كان ذلك اشعارا الى التاريخ ان نهضة تتململ، على ان انحسار ظل دولة الاقطاع العثماني التي لم تغير ثورة ١٩٠٩ البرجوازية من طبيعة هيمنته على البلاد العربية كثيرا بل زادت شراسة المتسلط .هذا الانحسار الذي بدا في وقت مبكر ممثلا بالاستعمار الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ والاستعمار الانكليزي لمصر ١٨٨٢ بعد ثورة عرابي وانتهى باندحار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٨.

هذا الانحسار الذي دام ليبلغ غايته حوالي قرن لم يجيء لصالح الشعوب المغلوبة على أمرها ولم ينفع العرب ما قدموا من تضحيات في الحرب العالمية الاولى من اجل امانيهم القومية واستقلالهم فقد تغلغل نوع من التسلط جديد العن من التسلط العثماني استعمار أقتسم البلاد العربية مدشنا عهدا جديدا من الاضطهاد وعهدا جديدا من الحركة هو الاستعمار الإنكليزي والاستعمار الفرنسي والاستعمار الإيطالي والاستعمار الاسباني.

وفي وقت مبكر تنبه الاديب العربي الى مسالة الشعب، وأيا كانت المناسبة وأيا من كان المقصود فان صرخة اديب اسحق الاديب السوري (١٨٥٦- ١٨٨٥):

قتل أمرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسالة فيها نظر

هذه الصرخة دفعت الاديب العربي الى استشراف الموقع الصحيح في التعامل مع الجماهير. وقد فضحت ثورة اكتوبر اتفاقية سايكس- بيكو السرية المعقودة بين الدول الاستعمارية انكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية وقرعت ناقوس الخطر الذي جعل الشعوب العربية متأهبة لخوض النضال مجددا. لقد وضع العقدان الثاني والثالث الشعوب العربية في مواجهة الاستعمار والامبريالية في ثورات مسلحة فاستؤنفت المعارك التي كانت قد بدأت قبل ذلك في الجزائر حيث قاد احداها الشاعر الثائر عبد القادر الجزائري وفي ليبيا حيث استنفرت همم المجاهدين وأطلقت السنة الادباء العرب.

لقد اندلعت ثورة ١٩١٩ في مصر وقد أرخها الادب وكانت رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم صورة صادقة للأدب الثوري المتفاعل مع آمال الجماهير وطموحاتها. وفي تموز ١٩٢٠ كان السوريون يخوضون الثورية في البلاد العربية لمقاومة هذا التسلط الجديد الممثل في معركة ميسلون ضد الاستعمار الفرنسي حيث أصبحت هذه المعركة معلما من معالم التاريخ الثوري استؤنفت بعدها الانتفاضات والثورات السورية. وارتفع صوت الادب في شعر الرصافي والجواهري وشوقي والغلايني والزركاني وخليل مردم.. الخ وفي حزيران ١٩٢٠ اندلعت الثورة العراقية في محاولة بطولية لإزاحة الاحتلال البريطاني فاندلع الشعر آبانها يذكي الهمم وبعدها يؤرخ المجد. يتجلى ذلك في شعر محمد مهدي البصير أحد المشاركين في الثورة وفي شعر الجواهري وفي شهر عشرات الشعراء. وفي المغرب الاقصى في آب ١٩٢٠ كان عبد الكريم الخطابي يقاتل الاسبان في معارك بقي صداها (انظر مثلا قصيدة علي محمود طه ١٩٤٧) واستأنف الثوار العرب في ليبيا نضالهم ضد الاستعمار الايطالي الذي بدا ١٩١٢ وكان للرصافي فيه أكثر من قصيدة وانتهت الجولة الجديدة بقتل الثائر الوطني عمر المختار وقد اثار ذلك مشاعر الادباء العرب وكانت أبرز قصيدة لأحمد شوقي في رثائه:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي
صباح مساء

لم تخب جذوة الثورات العربية يوما ولكن الحرب العالمية الثانية كانت منعطفا في تاريخ العرب كما هي منعطف في تاريخ العالم. ان استعراضا جغرافيا تاريخيا للبلاد العربية يومذاك يضع امامنا الحقائق التالية:

١ ــ كان قسم من البلاد العربية يخضع لحكم استعماري بواجهات محلية.

٢- وكان قسم آخر مستعمرا استعمارا مباشرا.

٣- وكانت ثمة اجزاء لا نستطيع ان نسلكها في النوعين السابقين كاليمن مثلا .فهي ليست مستعمرة .ولكنها كانت تخضع لحكم اقفل عليها ابواب القرون الأولى ولم يسمح لنسمة واحدة معاصرة بالهبوب.

على أن حقيقة مهمة يجب ان لا تغيب عن ذهن الباحث، هي اتساع الجماهير العربية التي شرعت تساهم في العمل الثوري فلم تمر السنوات السابقة دون أثر.. لقد كان للثقافة التي هبت رياحها على البلاد العربية أثرها .على ان المستعمرين حاولوا أن يوجهوها لصالحهم .ولم تقف هذه الثقافة حيث اراد المعوقون. وكان للممارسات الثورية الطويلة التي قام بها النخبة المتنورون في البدء وقادوا لها ما استطاعوا من الجماهير، كان لهذه الممارسات أثرها الايجابي فقد اشعلت النار.. ولم يعد من الممكن ايقافها حتى تبلغ غايتها. ولم تهب رياح التغيير على الاحداث السياسية حسب بل فعلت فعلها الايجابي ايضا في مجال الادب. فقد طرحت أهم مسألتين تهم الادب العربي مسألة الاشكال الجديدة والتجديد في الاشكال القديمة ومسألة التزام الاديب بقضايا الجماهير وعبر مخاض طويل اشبه بالمخاض الثوري وعبر مناقشات طويلة وعبر معارك ضارية ان صحح التعبير انتصر منطق الحياة. لقد انتصرت مسألة التجديد وفرضت الاشكال الصالحة منه وجودها كالشعر الحر مثلا. وانتصرت مسألة الالتزام فلم يعد أي اديب مهما تكن نظرته الفلسفية للأمور يستطيع ان يغمض عينيه عن حقائق الثورة الهائلة التي يخوضها العرب. وكان أبرز ما حرك الوجدان قضية فلسطين التي افرد لها فصلا خاصا والثورة الجزائرية التي عدت من الملاحم، وأعقب ذلك حركات التحرر في مصر وسورية والعراق والسودان.. الخ. وكان للتحركات الاستعمارية المضادة من اجل اخماد جذوة الثورة أثرها العميق على وجدان العرب وبالتالي على وجدان الادب.

وكان العدوان الثلاثي ١٩٥٦ على مصر منعطفا آخر في تاريخ العرب وتاريخ ادبهم. لقد انفلت العقال وانطلق المارد من قمقمه وأصبح الاديب ثائرا وكل دعوى لا تؤكد ذلك أصبحت فأفأة لا

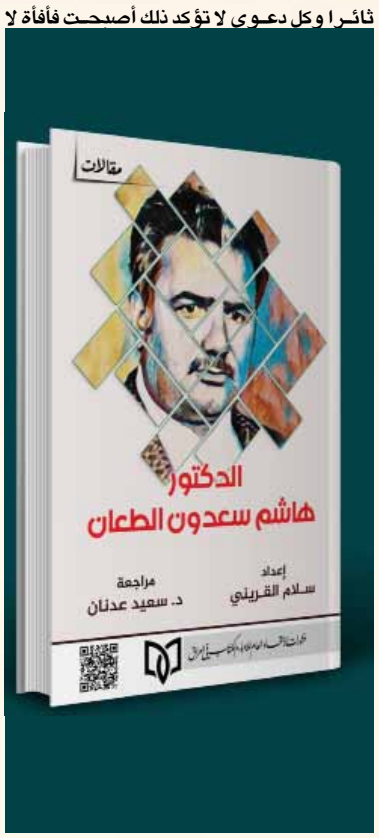

يفهمها جمهور القراء العرب الذين أصبحوا جزءا مهما من الثورة.. واصبحوا عاملا في الادب نفسه. ان الادب العربي أصبح- في آخر حساب- سلاحا مشهورا ضد الامبريالية وركائزها في الوطن العربي الرجعية والصهيونية. على اننا لنتضح الصورة أكثر يجب ان نشخص ملامح عامة للأدب العربي في موقفه ضد الامبريالية.

١ ان جميع الأنواع الأدبية استطاعت ان تحتوي مضامين تقدمية وان تكون سلاحا في المعركة.

فالشعر هو نوع موروث عريق كان المنشد الرئيس وقد أشرنا إلى نماذج فيما سلف والاحصاء غير ممكن في هذا المجال لسعة المشاركة وعمقها. وحين ولدت الاشكال الجديدة من الشعر لم تتخلف من المعركة ان لم تكن قد ولدت اصلا لضرورات المعركة وهكذا ارتفع صوت السياب وصلاح الدين عبد الصبور والفيتوري.. الخ في جوقة المنشدين الجدد.. وما زالت حتى محاولات التجديد التي لم تثبت اقدامها بعد لا تناقش مسألة وقوف الاديب الى جانب شعبه قدر ما تناقش اسلوب هذا الوقوف. والمقالة التي ولدت مع ظهور الصحافة لم تتردد.. أن لم تكن قد كرست اصلا من اجل هذه المعارك. ومن أقدم المقالات مقالة جريدة الجوائب الصادرة في ١٤ ربيع الاول ١٣٠٠ هـ حول (دسائس ايطاليا في شمال افريقيا) ومقالة المنار حول (المسألة الصهيونية) سنة ١٩١٤ ومقالة عمر راسم في جريدة (ذو الفقار) الجزائرية في نفس السنة. وتطورت المقالة السياسية وكثرت على اننا نستطيع ان نشير الى ادباء من كتاب المقالة السياسية لمعت أسماؤهم في هذا المجال منهم عمر فاخوري اللبناني في كتبه لا هوادة والحقيقة اللبنانية وفهمي المدرس وإبراهيم صالح شكر في العراق.

ولعبت المسرحية دورا مهما وليست مسرحيات توفيق الحكيم السياسية (سلطان الظلام) ضد النازية و (شجرة الحكم) هي كل ما يشار اليه.

اما الرواية فقد ذكرنا (عودة الروح) لتوفيق الحكيم ونذكر روايات نجيب محفوظ على سبيل المثال لا الحصر. ولم تقصر القصة القصيرة بل ربما كانت الصدق الانواع الادبية بعد الشعر بالمعركة.. ففي العراق عرف ذو النون ايوب وعبدالحق فاضل ومن بعد هذا الجيل نبغ شاكر خصباك وعبد الملك نوري وغائب طعمة فرمان وفي مصر اضافة الى محاولات نجيب محفوظ القليلة عرف يوسف ادريس، ولم تكد تخلو مجلة عربية من قصة او أكثر.

٢- لئن كان الاديب العربي ينفعل بالمعارك المباشرة التي يخوضها أبناء بلده لقد كانت المعارك العظمى معارك قومية فلم تتصاد فيها الجماهير العربية في كل مكان حسب وإنما وجدت صداها في ادب كل الاقطار ولسنا بحاجة الى ايراد الأمثلة على ذلك فهي أكثر وأظهر من ان تكون مجهولة. ويذكر ان ادباء المهاجر قد ساهموا في معارك شعبهم.

٣- استيقظ الاديب العربي في وقت مبكر على وحدة المعركة في كل العالم ضد الاستعمار. فمنذ ١٩٢٠ جلجل صوت الجواهري:

وقد خبروني ان في الشرق وحدة كنائسه تدعو
فتبكي الجوامع
وقد خبروني أن للعرب نهضة بشائر قد لاحت
لها ومطالع
وقد خبروني ان مصر بعزمها تناضل عن حق
لها وتدافع
وقد خبروني ان في الهند جذوة تهاب إذا لم
يمنع الشر مانع

وللرصافي قصيدة يربط فيها بين كفاح العراق والهند بعنوان (الفيل والحمل) وكتب فهمي المدرس مقالة عن غاندي ولشوقي قصيدة عن غاندي. ووجدت حركات التحرر أصداءها فللجواهري قصيدة في إندونيسيا ولعلي محمود طه قصيدة أخرى في الموضوع نفسه. واتسعت المسألة فوجدت قضية كوريا مكانها في الأدب العربي وحركات التحرر الافريقية حتى إذا كانت ملحمة فيتنام لم يتردد الأديب العربي في استماع صوته. ولعمق الحس الثوري لدى الأديب العربي فاتجه بحزم الى المواقع الصحيحة ولدينا قصيدة الجواهري وعلي محمود طه المهندس من معركة ستالينغراد مثل عظيم على هذا الاتجاه وكذلك كتاب عمر فاخوري (الاتحاد السوفييتي حجر الزاوية).. ان كل معركة ضد الاستعمار تنشب في اي مكان في العالم تصبح معركة الاديب العربي.

الادب العربي ضد الصهيونية

ربما كان من نافلة القول التحدث عن القضية الفلسطينية تاريخيا فهي منذ مطلع هذا القرن شغل العرب الشاغل دائما وشغل العالم احيانا. وقد انتهت كل التشخيصات المنصفة العربية وغير العربية الى وصم الصهيونية بحق- بانها حركة شوفينية اعتدائية عميلة للاستعمار.

ما يهمنا هنا موقف الادب العربي من هذه المسألة التي استمرت نصف قرن وما زالت قائمة تهدد ليس حقوق الشعب العربي الفلسطيني فقط بل الشعوب العربية باسرها والسلام العالمي فبالنسبة للشكل يصدق هنا ما صدق على الادب العربي المعادي للإمبريالية من حيث مساهمة كل الانواع الادبية فلا حاجة الى الخوض في تفاصيل ذلك. على اننا بحاجة الى توضيح معالم أخرى، وربما كان أجدى للدارس ان يقسم البحث الى فصول لتسهيل الدرس. وانما اضع هنا خطوط عامة:

١ .أرى أن يقسم الباحث الأدب المتعدي للمسألة الفلسطينية الى قسمين رئيسين:

أ - أدب الفلسطينيين أنفسهم

ب - أدب العرب من غير الفلسطينيين
٢- ويقسم كل قسم من القسمين المذكورين الى فترات زمنية متميزة
أ. منذ بدء الهجرة الصهيونية حتى ١٩٤٨
ب- منذ ١٩٤٨ الى ١٩٦٧
ج- منذ ١٩٦٧ حتى الآن.
أدب الفلسطينيين: -
أ- ما قبل ١٩٤٨
كان الفلسطينيون في الخطوط الأولى بحكم الواقع الانتداب الانكليزي على فلسطين وفي حقائب الانكليز وعد بلفور سيء الصيت. وبدأت الهجرة اليهودية، وبدأت الاساليب المختلفة للسيطرة على الاراضي. كانت اصوات الادباء قرعا لنواقيس الخطر فهو تارة منذر بعواقب الهجرة على لسان ابراهيم طوقان
ارى عددا في الشؤم لا كثلاثة وعشر ولكن فاقه في المصائب
هو (الالف) لم تعرف فلسطين ضربة اشد وانكى منه يوما
لضارب
يهاجر ألف ثم ألف مهربا ويدخل ألف سائحا غير آيب
وألف جواز، ثم ألف وسيلة لتسهيل ما يلقونه من مصاعب
وفي البحر آلاف كان عبابه مشحونة في المراكب
وهو تارة ساخر (بالزعماء) الذين يضيعون فلسطين على لسان ابراهيم طوقان أيضا:
انتم المخلصون في الوطنية. أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون من غير قول بارك الله في الزنود القوية
و (بيان) منكم يعادل جيشا بمعدات زحفه الحربية
و (اجتماع) منكم يرد علينا غابر المجد من فتوح امية
البلاد صار على الباب وجاءت اعياده الوردية
ما جحدنا (افضالكم)، غير انا لم نزل في نفوسنا أمنية
في يدينا بقية من بلاد فاستريحوا كي لا تطير البقية
وهو مرة أخرى ثائر يحمل السلاح وينشد كما فعل عبد الرحيم محمود:
سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فأما حياة تسر الصديق واما ممات يغيظ العدى
ب. أدب الفلسطينيين من ١٩٤٨- ١٩٦٧
حتى إذا كانت النكبة عام ١٩٤٨ وشرد الفلسطينيون العرب من ديارهم وأعقبتها مجازر قام بها الصهاينة.. واعتداءات كان اضخمها عدوان ١٩٥٦ بمؤازرة فرنسا وبريطانيا. لم يرتفع صوت الفلسطيني الا حالما بأيام العودة.. كان جيل النكبة المشرد يحن الى العودة ويحلم بها. ولكنه لا يجد تجسيدا للعمل من اجلها. فلم تكن حركة المقاومة قد انبثقت وكانت الانظمة التقدمية تولد بعد النكبة دون أن يحس الأدب بدورها.

قبل وعد بلفور الى مخاطر الصهيونية.

. ومنذ وعد بلفور.. ثم الانتداب الانكليزي كان الأديب العربي في كل مكان يهتز لكل ما يحدث في فلسطين، الثورات والانتفاضات النكبة والنكسة، المقاومة. وتلون ادب الادباء العرب بنفس الانفعالات التي تلون بها الادب الفلسطيني في مراحله الثلاث على اختلاف، في الشكل الفني وعمق الانفعال.. وتفاوت في التشخيص وهذا وذاك يحتاج الى دراسات ضخمة.

الاديب المعاصر العدد ٥ لسنة ١٩٧٣
لنين منذ فجر أوكتوبر في اللغة العربية
في حزيران ١٩١٢م كان عمال روسيا القيصرية يقراون في جريدة البرفدا- الجريدة البلشفية التي مضى على صدورها حوالي شهرين- مقالة عن نهاية الحرب التركية الإيطالية في ليبيا وعن وحشية الاستعمار الإيطالي في زعمه (تمدين!!) سكان ليبيا العرب. وفي المقالة إحصائية تقدر خسائر العرب ب ١٤٨٠٠. وذكرت المقالة ((ان القبائل العربية في قلب افريقيا في مناطق بعيدة عن الساحل ترفض الاستسلام.. ولمدة طويلة سيستمر ((تمدينها)) بالمدافع والحراب والمشانق والنار)).
كانت المقالة موقعة بالحرف (ت) وكان كاتب المقالة رجلا ربعه أصلع متين البنيان ذا عينين حيتين- كما وصفه غوركي- وكان قد انتقل وشيكا من باريس الى مدينة كراكوف في بولونيا ليكون أقرب الى روسيا.
انه سجين سياسي سابق، ومنفي سابق أيضا الى سيبيريا تعرفه السجلات الحكومية باسم فلاديمير ايلتش اوليانوف، ويعرفه رفاقه.. وخصومه أيضا باسم لينين.
وكانت الحرب التي تحدثت عنها المقالة قد شنها الاستعمار الإيطالي في محاولة لإيجاد أسواق جديدة ومواد خام رخيصة، ولم يقتصر عدم مبالاة المستعمرين الافظاظ على ما وقع بالشعب العربي، فهم قدموا وقودا لهذه الحرب حوالي ٢٠٠٠٠ إيطالي بين جريح وقتيل.
لقد اثارت هذه الحرب مشاعر العرب فهبوا في كل اقطارهم للوقوف بوجهها وقد شارك في القتال كثيرون كان منهم شاب سوري اسمه شكيب أرسلان وكان في صفوف المقاتلين الليبيين آنذاك شخص يدعى عمر المختار لم يبرز اسمه في تلك الأيام الى الصفوف الأولى.
وكان في الاستانة (إسطنبول) عاصمة الدولة العثمانية مناضل مصري اسمه محمد فريد حاول الإنكليز وصنائعهم إدخاله السجن لأنه طالب بأنهاء الاحتلال الإنكليز لمصر، فغادر البلاد ليعمل في الخارج.
وفي مصر كان رجل اسمه سعد زغلول قد استقال من وزارة الحقانية (العدل) لان رايه لم يؤخذ في مسالة التحقيق مع محمد فريد.
كانت البلاد العربية تتململ متلمسة طريقها، فمنذ أسقط السلطان عبد الحميد وقفزت البرجوازية التركية الى الحكم واضعة محمد رشاد على سدة الخلافة راح أعضاء (تركية الفتاة) الذين تسنموا دست الحكم يسيرون على سياسية الاتفاق مع الرجعية الداخلية والاقطاعيين وكذلك مع الامبرياليين.
وأحس العرب بوضوح أكثر مع مر الأيام ان الثورة التركية جاءت لتفرض أسلوبا ((جديدا)) في التسلط والاستغلال ودارت نكتة رواها أحد احفاد من عاصروا تلك الأيام تقول ان سائحا كان قد زار إسطنبول أيام السلطان عبد الحميد عاد فزارها بعد اعلان الدستور فراح يتلمس التغيرات التي طرأت فاذا به يرى المطاعم والفنادق والحمامات قد استبدلت اسماءها ((السلطانية)) القديمة بأسماء (دستورية) جديدة على ان الاختيار لم يجد تغييرا يذكر في محتوياتها.
على ان العرب أرسلوا ممثليهم الى مجلس المبعوثان، فكان شاعران عراقيان هما جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي عضوين فيه وعاد شكيب أرسلان من برقة الى إسطنبول ليمثل مدينة حوران في هذا المجلس.
ودارت الأرض حول الشمس خمس دورات فانبعثت ثورة اوكتوبر العظيمة التي قرعت الجرس مؤذنة بان فجر الانسان شرع يمزق ظلمات التسلط والاستغلال وكل ما ينجم عنهما. وأعلنت حكومة العمال والفلاحين في روسيا بقيادة لينين انها جاءت الى جانب الشعوب المهضومة، وفضحت اتفاقية سايكس بيكو، التي ارادت اقتسام اسلاب الرجل المريض، فكان ذلك نذيرا للعرب بأنهم الان في مواجهة استغلال (جديد) ولكنه ضار.
فهبت هذه الشعوب تقاتل من اجل تحقيق امانيها فكانت ثورة ١٩١٩ في مصر التي أرسل لينين رسالة الى قائدها سعد زغلول وكان لينين قد تلقى من محمد فريد رسالة تحية يثمن فيها مواقف روسيا السوفيتية إزاء مسالة الشعوب.
وكانت ثورة ١٩٢٠ في العراق التي أحس الإنكليز المستعمرون أنفسهم انها متأثرة- بهذا القدر او ذاك- بثورة اوكتوبر.
وكتب الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي سنة ١٩٢٤ بعد ذلك يناقش الاشتراكية في كتابه المجمل مما أرى..
وبعد ذلك بزمن قال الرصافي:
للإنكليز مطامع ببلادكم لا تنتهي الا بأن تبلشفوا
وكان نفر من مثقفي العراق قد شاموا قبسا من الفكر اللينيني. وكان الطالب العراقي حسين الرحال قد عاد من المانيا عام ١٩٢١ ليطلع اخوانه على افاق الفكر الجديد.
وفي سوريا قال أحد أعضاء لجنة توحيد العرب في محاضرة له سنة ١٩٢٠ ((العرب يكنون الاحترام للينين وأصدقائه والثورة التي فجروها لتحرير الشرق من الطواغيت الأوربيين وان سعادة العالم وهدوءه يرتبطان باتحاد العرب والبلاشفة..)).
وعقد مؤتمر لشعوب الشرق في باكو سنة ١٩٢٠ فحضره ثلاثة من العرب وقدمت الى المؤتمر الثاني للأممية الثالثة في موسكو مذكرة من أبناء بلاد ما بين النهرين.
واتيح لشكيب أرسلان ان يكون أحد المدعوين الى الاحتفالات المقامة بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة اوكتوبر ١٩٢٧ فعاد وكتب متسائلا لماذا لا يعقد العرب صلات رسمية مع روسية؟
وقال ان الكراهية كانت بين العرب والروس بسبب الدولة العثمانية وقد انفصل العرب عن تركيا ولما لم يبق للعرب علاقة بتركيا فليس بيننا وبين الروس الا المودة والصفاء والسلام ((جريدة الشورى عدد كانون الأول ١٩٢٧ وعدد كانون الأول ١٩٢٧)).
كما كتب (انا لست شيوعيا ولم اقرا ما كتبه ماركس ولكني اعرف بان لينين كان الأول الذي أوحى الى البروليتارية بمشاعر الصداقة نحو شعوب المستعمرات والشيوعيون كانوا الأوائل من بين الذين نشروا هذه الفكرة ومارسوها في التجربة) - عن - الأخبار اللبنانية العدد ٨٠٩- عن مقالة للينين نشرها في جريدة ((نزاع)) الطبقات قبيل سقوط حكومة كيرنسكي ولعل هذه المقالة اول ما نشر للينين بالعربية..
وفي الجزء الذي قبله (اذار ١٩١٨) تحدثت مجلة الهلال عن سقوط رومانوف وكيرنسكي ونشرت في اوكتوبر ١٩٢٠ مقالا بعنوان ((حقيقة النظام البلشفي)) دحضت فيه الأكاذيب التي نشرتها معظم الجرائد عن اهل هذا المذهب الجديد (مثال ذلك ما اشاعوه عن اباحة النساء في روسيا البلشفية).
وعلق أحد قراء الهلال (إسكندر قسطنطين) من طرابلس الشام في عدد اذار ١٩٢٦ وهو كما يقول شاهد عيان- وابدى استياءه من الوضع الجديد في الاتحاد السوفيتي اذ (صار العامل والاجير والخادم واغلبهم من الاميين أصحاب الحل والربط) وهاجم المجلة. وقد نشرت المجلة الرد وعلقت (اما المقال الذي نشرناه في الجزء الأول من هذه السنة فقد اعتمدنا على كتابات نفر من الملاحظين.. منهم سفير الولايات المتحدة سابقا في الدنمارك))..
ونشرت الهلال أيضا في الجزء التاسع (١٩٢٠) مقالا بعنوان ((روسيا البلشفية- معلومات مستقاة من اصح المصادر واوثقها)) جاء فيه:
(لا ريب ان زعماء البلشفيك مخلصين في اعتقادهم وعملهم.. ولا يتناول زعماء البلشفيك- من لينين فما دون- من الطعام الا ما يتناوله الشعب الروسي.. وجاء في بلاغ لتشيشرين وزير الخارجية ((ما برحت روسيا الاشتراكية منذ ثورة نوفمبر (١) تعلن للشعوب الشرقية انها تتنازل (!) عن كل ما لها من الامتيازات بل انها مستعدة لمساعدة تلك الشعوب حتى تتمكن من إزالة الظلم الفادح الذي نالها وتستعيد حريتها المفقودة، ولقد الغينا جميع المعاهدات السرية التي عقدتها بعض الحكومات الشرقية مضطرة مع حكومة القيصر الاستبدادية)).. الاسرى من الأعداء يعاملون في روسيا أحسن معاملة، النساء في روسيا متمتعات بالمساواة التامة بالرجال ولهن احترام عظيم تعني الحكومة البلشفية بالأطفال والاحداث مثل عنايتها بالجيش وقد انشات في سنتين ١٠٠٠٠ مدرسة جديدة).
على ان الرجعية العربية لم تكن غافلة فهي قد تحركت في الطريق المضاد من اللحظات الأولى، فقد أعلنت المقتطف في (مايو ١٩١٧) عن الثورة الروسية وسقوط رومانوف واستبشرت قائلة ((...ويظهر من الاخبار المقتضبة التي جاءت حتى اخر اذار عن هذه الثورة انها عامة اشترك فيها الجيش ومجلس النواب (الدوما) والشعب لا يستثنى منهم الا المتطرفون حزب العمال الذي يقال انهم فوضويون)).
ولما خيبت الاحداث ظنها راحت تكتب عن سجون البولشفيك (اذار ١٩١٩) والصلح الألماني. مؤتمر برست لتوفسك.. اكراه روسيا على صلح عسكري اغتصابي ((أيلول ١٩١٨)) ولم تنس ان تهاجم المظاهرة والاعتصار وتتحدث عن المندسين (حزيران ١٩١٩) فتطعن بذلك ثورة الشعب المصري. وراحت تتحدث في كل عدد من اعدادها فتنشر بحثا عن جبروت اميركا وقوتها واقتصادها وبولسيها.
وكتبت جريدة الموصل (٢٠ كانون الأول ١٩١٨ العدد ١١) عن ثورة ((البولشفيك)) في الاتحاد السوفيتي وأعلنت تأسيس حكومة جديدة لروسيا في ستوكهولم (٢٣ كانون الأول ١٩١٨) وراحت تتحدث عن حرب التدخل بإسهاب ((عدد ١٧ كانون الثاني ١٩١٩)) وعن مساعدات أمريكا ضد البولشفيك (عدد ٢٥ كانون الثاني ١٩١٩) وتحدثت في العدد عن توحش البولشفيك وأعلنت ان الحلفاء يحاربون البولشفيك في بلاد الروس. ونشرت بيانات (!) رئيس جمهورية بولونيا وقوله (إذا يروم أنصار الحلفاء تخفيف اوجاع الجنس البشري فيلزم سحق البولشفيك).
وفي العدد (٤- ١٩ اذار ١٩١٩) نقلت جريدة الموصل عن جريدة العرب تصريح المستر لويد جورج الذي وصف الدعوة الخبيثة!! - والمقصود البولشيفية- بانها سم زعاف ولكنها لم تنس ان تنشر في العدد نفسه هذا الخبر برنة ترحيب: (واشنطن: أعرب الرئيس ويلسون للوفد الذي انتدبه مجمع اليهود الأمريكيون (!) عن اعتقاده ان الحلفاء متفقون على ان حكومة اليهود الجمهورية تؤسس في فلسطين والأميركيون على وفاق تام معهم في هذا الامر).. فكشفت بذلك عن هويتها الحقيقية..
(!) المقصود ثورة أكتوبر التي وقعت احداثها في ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ وفقا للتقويم القديم الموفق ٧ نوفمبر- تشرين الأول ١٩١٧ وفقا للتقويم الجديد.

الثقافة الجديدة العدد ١٢ آذار- نيسان ١٩٧٠م

•المقالات عن كتاب: مقالات الدكتور هاشم سعدون الطعان - اعداد سلام القريني - مراجعة الدكتور سعيد عدنان

هاشم الطعان وجماعة رواد الادب والحياة في الموصل

د. ابراهيم خليل العلاف

ظاهرة التجمعات الأدبية في العراق، والتي تنامت في الستينات والسبعينات في القرن الماضي، ترجع بجذورها الى العشرينات، فالشبان المثقفون الذي التفوا حول (صحيفة الصحيفة) التي صدرت سنة ١٩٢٤ ببغداد، يعدون من أوائل تلك التجمعات وكانوا من رواد التغيير والتجديد في الادب والفن والسياسة، ومن بين هؤلاء برز حسين الرحال ومحمود احمد السيد ومصطفى علي. وفي الثلاثينات ظهرت (جماعة مجلة المجلة) التي صدر عددها الأول سنة ١٩٣٨ في الموصل بجهود كل من ذو النون أيوب وعبد الحق فاضل ويوسف الحاج الياس. وفي النجف الأشرف ظهرت (جماعة منتدى النشر) (١٩٣٥)، وكان من مؤسسيها الشيخ محمد رضا المظفر والسيد هادي فياض. وفي ١٩٤٣ تأسست (الرابطة الثقافية) وكان عبد الفتاح إبراهيم، ومحي الدين يوسف، وخدوري خدوري، وطه باقر من أركانها. وفي أواسط الستينات صارت التجمعات الأدبية من أبرز ملامح المشهد الثقافي العراقي المعاصر، وتؤشر الوثائق المتداولة حقيقة وجود أكثر من تجمع أدبي في العراق ولعل (جماعة كركوك الأدبية) التي تأسست بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٨ من أبرزها وكان أنور الغساني، وجليل القيسي،وجان دمو، وسركون بولص، وصلاح فائق سعيد، وفاضل العزاوي، ويوسف سعيد، ومؤيد الراوي، ويوسف الحيدري من أركانها.. كما اصدر حميد المطبعي في النجف الأشرف (مجلة الكلمة) التي استمرت في الصدور بين ١٩٦٧ و ١٩٧٥، وكانت بحق مسرحا لحركة أدبية طليعية.

وجماعة رواد الأدب والحياة التي نكتب عنها هي تجمع ثقافي ظهر في الموصل سنة ١٩٥٤، وكانت من بواكير التجمعات الأدبية العراقية المعاصرة وقد ضم التجمع عند ظهوره أربعة أدباء مؤسسين قدر لهم فيما بعد ان يقوموا بدور فاعل في الحياة الثقافية العراقية المعاصرة وهم: محمود المحروق، وشاذل طاقة، وهاشم الطعان، وغانم الدباغ. وقد عدوا من رواد الأدب العراقي الحديث، وكانوا ذوي توجه تقدمي يساري، بحثوا عن التغيير ولجأوا الى الشعر والقصة ليكونا الميدان الذي يعبرون من خلاله عن طموحاتهم في إيجاد أدب يرتبط بالحياة وهمومها. ومما ينبغي تسجيله في هذا الصدد ان الصحفي البارع الاستاذ عبد الباسط يونس (١٩٢٨ – ٢٠٠٠) وكان يصدر جريدة في الموصل باسم الراية (برز عددها الأول في ١١ نيسان ١٩٥١) قد أفسح لهم في جريدته بابا مستقلا يحمل عنوان: (باب رواد أدب الحياة) ويشير الأستاذ الدكتور عمر محمد الطالب في مقالته الموسومة: ((محمود المحروق ١٩٣١ – ١٩٩٣)) التي نشرها في جريدة الحدباء (الموصلية) بعددها ٥٩٥ الصادر في ١٢٣ تشرين الأول ١٩٩٣، الى ان مجلة الرسالة الجديدة (البغدادية)، قد وثقت نشاطات هذه الجماعة وذلك في عددها الصادر في ١٧ أيار سنة ١٩٥٤ ويمكن الرجوع إليه للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذه الجماعة الأدبية التي

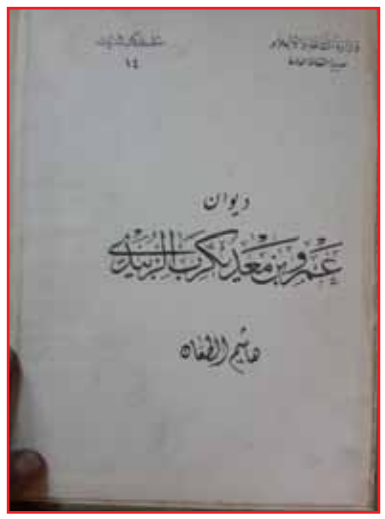

بعد ذلك برز اركانها في ميدان الشعر والقصة والمقالة.

ولنتساءل عن القاسم المشترك الذي ربط بين أولئك الرواد ونقول ان جميعهم من مدينة الموصل، وان الرغبة في التجديد ومحاربة الأنماط السكونية في التعبير والخروج عن المألوف المتداول في الشعر والقصة هي ما كان يجمعهم والأبعد من ذلك محاولتهم التصدي للتعقيدات الشكلية التي كانت تميز الحياة الثقافية العراقية آنذاك فضلا عن انهم كانوا في عمر متقارب تقريبا فمعظمهم من مواليد الثلاثينات من القرن الماضي، أي ان أعمارهم عند ظهورهم كانت تتراوح بين ١٥ – ٢٥ عاما. وكانوا تقدميين يساريين في آرائهم ومنطلقاتهم الفكرية، لكن ثمة أمر لابد من التأكيد عليه، وهو ان الصراعات الفكرية والسياسية بين الأحزاب والتي تفاقمت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أدت الى احداث التباعد بينهم، وكما يقول الأستاذ الدكتور عبد الإله احمد في كتاب الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، فان معظم أولئك الرواد ذهبوا ضحية الأحداث السياسية العاصفة المتقلبة والتي أجهزت عليهم، او حالت بينهم وبين تطور أنفسهم على نحو يتيح لهم تحقيق ما بدا انهم مؤهلون لتحقيقه.

فمحمود المحروق (١٩٣١ – ١٩٩٣) هذا الرجل الذي يعد من رواد الشعر الحديث، الذي عرف فيما بعد بـ (الشعر الحر) لم ينل ما يستحقه من اهتمام، عصفت به السياسة، فضاع في أتونها وانتهى الأمر به قبل ان يموت مصححا في جريدة الحدباء، هذا الرجل نظم في السادس من آذار ١٩٤٨ وعمره (١٧) سنة قصيدة (ظلام)، والتي تعد أول تجربة أدبية عراقية في الشعر الحر، وقد ظهرت منشورة في جريدة صوت الكرخ (البغدادية)، (العدد ٤٨ في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٩) وجاء فيها:

مضينا.. وفي قلبنا تهاويل جياشة بالعناء
وكنا.. وكان الزمان لنا.. ملاحم ننشرها بالهناء
ونرشف من نخبها.. رحيق الهوى والحياة
وفي قلبها سكبنا الدموع.. شآبيب تدنو بنا للفناء
وتدفعنا للسبات.. فتندب احلامنا ونمضي وما من رجوع

وعندما كتب هذه القصيدة، كانت نازك الملائكة تكتب في اللحظة ذاتها قصيدتها (لكوليرا)، وكان بدر شاكر السياب يكتب كذلك

قصيدته (هل كان حبا؟!).. لقد نظم المحروق قصيدة ظلام ونوع فيها القوافي ووزع فيها في التفعيلات توزيعا جديدا، وان ظلت الصور واللغة والتراكيب ضمن موقفه الرومانتيكي الطاغي)) هكذا يقول ذو النون الاطرقجي في دراسته عن الشعر في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، (ج٥، ص ٣٧٨).

ومحمود المحروق كان مدركا منذ البدء انه يفتح طريقا جديدا في الشعر وقد تحدث في ٣٠ آذار ١٩٩٣، وعبر جريدة الحدباء عن تجربته تلك قائلا بان أحد الأسباب التي يراها تقف وراء قيام حركة التجديد في الشعر وظهور الشعر الحر هي: ((الثورة على الأساليب القديمة في القصيدة العمودية، والابتعاد عن السطحية والتقريرية والمباشرة وإدخال الألفاظ الرقيقة العذبة التي تعطي للشعر الحديث طراوة خاصة، وجوا موسيقيا كأنه السلسبيل)).

ولا ينبغي الذهاب بعيدا في معرفة ردود الفعل على قصيدة ظلام ولكن لابد من القول انه اصدر ديوانه الأول بعنوان ((قيثارة الريح)) قبل ان يخرجوا للسياب بعد سنوات وسنوات ديوانا بالعنوان نفسه. فبين الإصدارين سبع عشرة سنة (الموصل – ١٩٥٤.. بغداد – ١٩٧١).

وقد ندب الأستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني نفسه للحديث عن قيمة الديوان وصاحبه فقال في مقالة كتبها في جريدة الحدباء (١٢ تشرين الاول ١٩٩٣) أي بعد أيام من رحيل المحروق ان المحروق لم يكن شاعرا حسب، بل كان ناقدا له باع طويل في معرفة الشعر وفهمه واستيعابه وتمثله، ومع ان الأدباء العراقيين قد استقبلوا ديوان المحروق، كما قال الناقد سامي أمين في عدد آب ١٩٥٤ من مجلة الآداب البيروتية، بشيء غير قليل من العنف، وكتبوا عنه كتابات اتسع فيها المجال للإشارة الى عيوبه واغراقه في الرومانسية، لكن ذلك لم يلغ ان المحروق قد أظهر في شعره موقفا وطنيا وانسانيا. لقد كان بحق مثقفا ملتزما بقضايا مجتمعه.

ولم يكن المحروق لوحده متميزا في موقفه هذا بل كان زملاؤه كذلك.. فشاذل طاقة وغانم الدباغ وهاشم الطعان كانوا يبغون تثوير اللغة العربية، وهم وان تعمدوا الاغراق في الغموض والامعان في التأثر بخطى بعض أساليب الغرب الأدبية، الا انهم كانوا ذوي موهبة خلاقة، وثقافة أصيلة، وصدق بين، فشاذل طاقة (١٩٢٩-١٩٧٤) كان شاعرا رومانتيكيا منذ بدايات نضجه الفني، فلقد اجتمع لديه الحب والموت وقصائده في ديوانه الأول (المساء الأخير) الذي ظهر مطبوعا في الموصل سنة ١٩٥٠ متماثلة في رسم عالم الحزن والأحلام والفراق والجنون والموت، في مشاركة للطبيعة في هذه المشاعر)).(انظر دراسة ذو النون الاطرقجي عن الشعر في الموصل المشار اليه آنفا).

ويقف هاشم الطعان (١٩٣١ – ١٩٨١) هذا الشاعر الرائد، الذي مارس التعليم الثانوي فترة من الزمن ثم أكمل دراساته العليا ونال الدكتوراه، ليكون علامة بارزة على صدق الفن والادب واقترابهما من الحياة.. قال عنه شاذل طاقة مرة انه ((صادق في فنه، مخلص في تعبيره)). أصدر هاشم الطعان سنة ١٩٥٥ مجموعته الشعرية الاولى بعنوان: (لحظات قلقة).. لكنه وبعد صدور مجموعته الشعرية الثانية (غدا نحصد) سنة ١٩٦٠ انسحب من الشعر، كما يقول حميد المطبعي في موسوعته (اعلام العراق في القرن العشرين).. ونستطيع هنا التأكيد على الحقيقة التي أشرنا اليها آنفا وهي ان هاشم الطعان كان واحدا من الذين اضرت الصراعات السياسية التي شهدها العراق بعد ثورة ١٩٥٨ به، وكانت سببا من اسباب عزوفه عن الشعر، وتوجهه نحو العمل الاكاديمي.. واذا كانت الجامعة قد كسبت استاذا متميزا له كتب وتحقيقات يعتد بها، الا ان الساحة الثقافية العراقية قد خسرته مبدعا.

أما غانم الدباغ (١٩٢٣ – ١٩٩١)، الركن الرابع من اركان جماعة رواد الادب والحياة، فقد كان اكبر زملائه سنا، كما انه لم يكن شاعرا بل قاصا رائدا.. وروائيا مبدعا استوحى أجواء قصصه من واقع حياة الموصل وقصباتها وقراها ابان عمله في سلك التعليم الابتدائي وقد وجدت بعض قصصه طريقها للنشر منذ ان كان طالبا في دار المعلمين الابتدائية التي تخرج فيها سنة ١٩٤٤. انصرف الى العمل الصحفي اواخر الخمسينات من القرن الماضي وشغل مناصب عديدة منها عضويته في هيئة تحرير مجلة الاديب المعاصر في السبعينات. كانت له مجاميع قصصية وتعد مجموعته القصصية (الماء العذب) التي طبعت سنة ١٩٧٠ باكورتها، وانشغل لفترة بالترجمة وظهرت له سنة ١٩٥٠ مجموعة مترجمة بعنوان (قصص من الغرب) وقد نقل الاستاذ حميد المطبعي في موسوعته عن الاستاذ الدكتور عمر محمد الطالب تقييمه لغانم الدباغ وجاء فيه ((ان غانم الدباغ من القصصيين العراقيين الذين سبروا غور شخصياتهم وتعمقوا في تحليلها واستبطان دوافعها وغرائزها..)) وقصصه تصور آلام مجتمعه ويستقي موضوعاته من الغرائز المكبوتة وفوران الشباب والحرمان من لذات الحياة...)).

ان بدايات جماعة رواد الأدب والحياة، وان تبدو قلقة، توحي بافكار ونزعات تجديدية تبتغي التغيير وعدم الركون لما هو متوارث وكلاسيكي، فان المسألة التي لا يمكن تجاهلها هي ان لروادها فضل الاجتهاد والتجريب وانتهاج طريق غير مألوف في التعبير عن كوامن النفس العراقية التواقة الى الحرية والحق والصدق وهذا هو ما منح اعمال هذه الجماعة قيمة الوثيقة الادبية المعتمدة في التأريخ لحياة العراق الثقافية المعاصرة.

هاشم الطعان 1931-1981

د. عمر الطالب

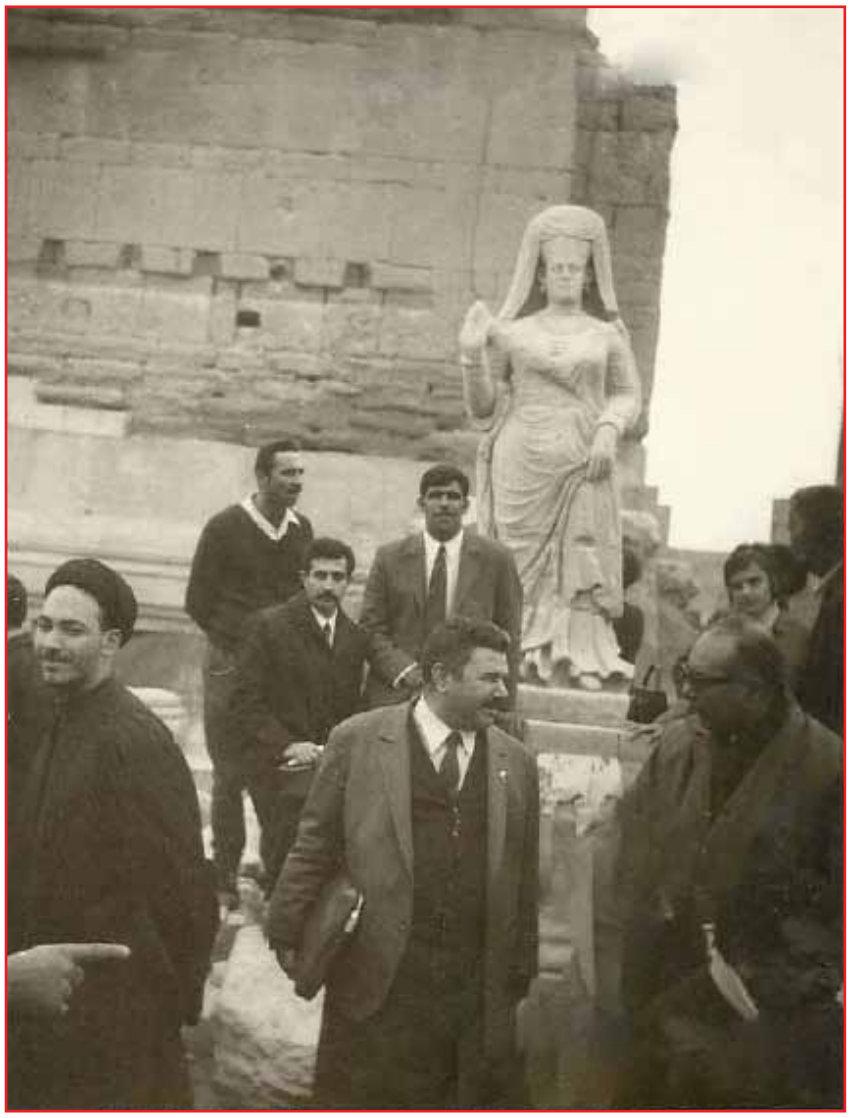

ولد هاشم سعدون حسن الطعان الدليمي في الموصل عام ١٩٣١ في محلة المحمودين، درس في مدرسة الحدباء الابتدائية والمتوسطة الغربية، وأبدى اهتماماً بالشعر والأدب والتاريخ ونشر أول قصائده وهو في الصف الثالث المتوسط في مجلة المدرسة بأشراف نافع بزوعي، ودخل الإعدادية عام ١٩٤٩ ونشط اهتمامه بالشعر متأثراً بأستاذه ذي النون الشهاب، وأنهى دراسته فيها عام ١٩٥١، ودخل الدورة التربوية وتخرج معلماً في الأرياف، إستقال من وظيفته، وألتحق بكلية الآداب عام ١٩٥٦ وتخرج فيها بتفوق عام ١٩٦٠ ورعاه أساتذته:-عبد العزيز الدوري ومهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، عين مدرساً في البصرة، ثم التحق بدراسة الماجستير في جامعة بغداد ونال شهادة الماجستير عن تحقيقه لكتاب (البارع في اللغة) وهو الكتاب الذي شرح فيه أبو علي القالي البغدادي الأندلس معجم (العين) للفراهيدي، ونال شهادة الدكتوراه عن أطروحته (الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة) من جامعة بغداد أيضاً، وبقي في التعليم الثانوي حتى احيل إلى التقاعد.

انضم هاشم الطعان الى رابطة (رواد أدب الحياة) التي ضمت شاذل طاقة ومحمود المحروق وغانم الدباغ وعبد الحليم اللاوند ويوسف الصائغ وسالم الدباغ، واحمد المختار وغيرهم من أدباء الموصل وأصبح سكرتيراً لاتحاد الأدباء العراقيين، ومثل الاتحاد في مؤتمرات اتحاد الأدباء والكتاب الافروأسيويين، في كازاخستان وبرلين وموسكو وليبيا، وألقى فيها بحوثاً.

أجاد الطعان اللغتين الإنكليزية والألمانية الى جانب معرفته بعض اللغات القديمة مثل السريانية والعبرية، وله مكتبة ضمت أكثر من عشرة آلاف كتاب، جمعها خلال حياته الحافلة بالعلم والبحث.

نشر هاشم الطعان مجموعة من الكتب الى جانب كتب ما زالت مخطوطة.

١-ديوان لحظات قلقة ١٩٥٥. ٢-ديوان قصائد غير صالحة للنشر ١٩٥٦ بالاشتراك مع شاذل طاقة ويوسف الصائغ وعبد الحميد اللاوند. ٣-ديوان الحارث بن حلزة ١٩٦٧. ٤-تأثر اللغة العربية باللغات اليمنية القديمة ١٩٦٨. ٥-غدا نحصد ١٩٦٩. ٦-ديوان عمرو بن يكرب الزبيدي ١٩٧٠. ٧-البارع في اللغة ١٩٧٥. ٨-الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ١٩٧٨. ٩-مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ١٩٧٨. ١٠-كلمة عرب منذ أقدم العصور مخطوط انتهى من الجزء الأول منه.

وله عدد من البحوث والدراسات المنشورة في المجلات وجلها في التحقيق والتراث.

وصنع فهرساً لشعراء الجاهلية والإسلام وترجمتهم، وشرع فهرسة الشعراء الواردين في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة، وانشغل في أواخر حياته بتحقيق مخطوطة ألفها ابن كمال باشا في الألفاظ العربية التي دخلت التركية.

وجمع شعر المهلهل التغلبي بطل البسوس.

أصدر هاشم الطعان ديوانين من الشعر في بداية شبابه (لحظات قلقة) ١٩٥٥و(قصائد غير صالحة للنشر عام ١٩٥٦، وقدم ديوانه الأول بمقدمة عنوانها (كنت أتوكأ) مبيناً نظرته الى الإبداع، يقول فيها:الفن شيء رائع هائل تفريك

به الجذور الأولى التي تقبسها من جحيمه فتخالها كل الفن وتظن أن ليس بينك وبين الإبداع الا أن تنفض الرماد العالق بهذه الجذوة لتلتهب ويرشدك نورها في المسالك التي تحسبها قصيرة ممهدة الى الخلود).

وقدم للديوان الشاعر شاذل طاقة صديق الطعان الحميم، قال طاقة في مقدمته: (هذا شعر يعرض قصة شاعر يصارع قوى أقوى منه لإثبات وجوده وتدعيم كيانه، يصارع تقاليد عتيقة ومقاييس بالية فيغلبها حيناً وتغلبه أحياناً، لكنه في كل حال يسعى الى إختيار موقف يثبت به وجوده وهو في سعيه إلى هذا الأختيار يمر في مرحلة خطيرة عنيفة يسودها قلق ممض ولكنه مثمر وتطغى عليها حيرة قاسية لكنها مشرقة، وتلك هي قصة لحظاته القلقة)

يضم الديوان ثماني وعشرين قصيدة، بدأ في بعضها تاظما كما في قصيدة (سوق النخالة)، وحشر في بعضها الألفاظ الخشنة الثقيلة كما في قصيدة(يا نذل ماذا تلتمس؟)، ولا يكاد يصل الى شيء كما في قصيدتي (حلم ليلة وعينان). ونحا منحى تقليديا في قصيدتي(إلى فاتنة وعبد الرماد)، وأبدع في قصائد مثل (أنا وامرأة، طفولة، طلائع الخريف، في مخدع زوجة)، وقلد نزار قباني في قصيدة (يا نذل ماذا تلتمس؟) الذي سار فيها على منوال قصيدة(رسالة من امرأة حاقدة)، و(أنا وامرأة) التي قلد فيها قصيدة (حبلى)، والتي يقول فيها

أنا وامرأة
وحديثنا والمدفأة....
وتقول جذلى مغرمة
في غمغمات مبهمة
مولاي أنا ذي أمة
فاهرق غرائز مجرمة
واعبث كما شاءت عواطف ثائرة
حتى يحطمنا السهر
والعربدات الفاجرة ...
ما ضرني أن قال أبناء الشقا
عني بأني مخطئة

ويصور هاشم الطعان طفولته وبيته وحيه وأمه التي يخافها حين تغضب بالغجر والمتجولين في قصيدته (طفولة).

موسوعة اعلام الموصل في القرن العشرين

عراقيون من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

هاشم الطعان والبحث الجامعي الرصين

شكيب كاظم

صباح الثلاثاء السادس من نيسان سنة ١٩٧٦، قرأت في صحيفتي (الثورة) و(الجمهورية) خبراً يشير إلى أن مناقشة علنية ستجري عصر هذا اليوم، لرسالة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي، إلى قسم الدراسات العليا في كلية آداب جامعة بغداد، والمعنونة بـ (الفكر الاشتراكي في الأدب العراقي ١٩١٨-١٩٥٨). وإن لجنة ستتولى مناقشة الطالب مؤلفة من الدكاترة التالية أسماؤهم: يوسف عز الدين، وعبد العزيز الأهواني، وإلياس فرح، وصلاح خالص، ولما كنت أحرص على حضور هذه الجلسات فقد توجهت عصراً إلى مبنى كلية الآدب لجامعة بغداد في حي الوزيرية، لأفأجأ بإعلان في واجهة الكلية يشير إلى تأجيلها لأسباب قاهرة- كما دون- إلى يوم السبت المقبل ١٠/ من نيسان.

لم أستطع حضور جلسة المناقشة، لكني سمعت عن النقاش الذي امتد طويلاً وتجاوز العشر ساعات، وإن أحد الأساتذة – لن أذكره اسمه- والمختص بالأدب الأندلسي، وكان متواضع القدرات العلمية، قد رفض الرسالة، وتدخلت جهات، تعددت الروايات بشأنها، فقبلت الرسالة- على مضض- وبقيت حبيسة الدواليب والأدراج ولم تنشر، حتى إذا اختلت موازين الأمور عقيب نيسان /٢٠٠٣، وتوجهت الدهماء تعيث فساداً في كل مرافق البلد عثر عليها الباحث سعدون هليل وازمع نشرها.

المسألة هذه تذكرني بانغلاق عقليات العراقيين، حتى وإن كانوا من حملة الشهادات العليا، فهم نتاج هذا المجتمع، ولربما ذهبوا إلى ذلك خوفاً أو تزلفاً، وأعرف خبيراً في دار الشؤون الثقافية، كانت تعرض عليه المخطوطات، كان أشد وطأة على الناس من بيريا وزير أمن ستالين، وأشد قسوة على من كانوا قريبين إلى أفكاره التي تخلى عنها، ليتماشى مع أفكار السلطة، متسلحاً بلقبه الذي كان يستمده من المدينة التي كانت لها السطوة والحظوة وقتذاك.

هذه المسألة وأدت طموحات كثير من الباحثين الجادين، وأصحاب العقول، وبودي الإشارة هنا إلى الباحث الجامعي الرصين الدكتور هاشم الطعان (١٩٣١-١٩٨١) الذي يصفه العلامة إبراهيم السامرائي (١٩٢٣-٢٠٠١) بأنه كان من الأصفياء الأحباء الذين تعلقوا بأصول العلم، وكان له بسبب هذا إخاء ومودة مع طائفة من أصحابه الذين دفعهم أن يسلكوا سبيله.

وإذ كتب الباحث الدكتور عبد اللطيف الراوي، في قضايا تجلب وجع الرأس في دول الراديكاليات الثورية ومجتمعاتها أحادية التفكير فكتب بحثه لنيل الماجستير عن (المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة) وأردفه ببحث الدكتوراه عن (الفكر الاشتراكي في الأدب العراقي) واقفاً عند البدايات منذ سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٥٨، فإن الباحث الرصين هاشم الطعان الذي طواه الردى سراعاً، بسبب الإقصاء والتهميش وبخس شأنه إذ منع من التدريس في الجامعة، وهو ما يؤهله له تحصيله العلمي، الدكتوراه وظل مدرساً في الثانويات بل درّس في الثانويات الأهلية، ومنها الثانوية الجعفرية المسائية التي غيرت الدولة اسمها في السبعينيات إلى ثانوية محمد سليمان، وهو السوداني الذي كان عضواً في القيادة القومية للحزب الحاكم، سقطت به الطائرة ومن معه صيف ١٩٧١، وكانوا قد أوفدوا لمباركة الحركة الانقلابية التي قادها الضابط هاشم العطا ضد الرئيس السوداني جعفر النميري وتعددت الروايات في حادث السقوط هذا.

آثر هاشم الطعان الكتابة والبحث بعيداً عن أوجاع الرأس، فدرس (الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة) فضلاً عن كتابه (مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية) الصادر في ضمن الموسوعة الصغيرة سنة ١٩٧٨، وأنشغل بتحقيق المخطوطات ونشرها.

لقد قرأت بحث الماجستير هذا والذي تولت طبعه مكتبة النهضة ببغداد في إحدى دور النشر اللبنانية، بعد أن لم يحظ بموافقة دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد دار النشر الوحيدة في العراق أو آنذاك، تفهم ذلك من إشارة المؤلف في جدول الخطأ والصواب، إلى ان الطبع قد تم في بيروت ولبعد المسافة بين بغداد المؤلف وبيروت الطبّاع فقد وقعت أخطاء أخرى لا تفوت القارئ اللبيب. تراجع ص٣٩٩.

الكتاب هذا صدر من غير إشارة للطبعة، ولا تأريخها ولا رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد، وكانت تسمى (المكتبة الوطنية) مع ان مقدمة الباحث مؤرخة في نيسان /١٩٧١.

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون